المواقف والاحداث: «فرغ الشبان من اهالة التراب على اللحد الذي ضمّ ' أبا العبد' ... اصطفوا فوق رأسه... قرأوا الفاتحة وانصرفوا ومعاولهم على اكتافهم. خَلَيَت الحاكورة الّا من نفّوس، وعيّوش، وصبرية، وصابر، وسامر... تقدّمت نفّوس الى القبر وجلست عند رجليه. قدّمت شفتيها من شاهد القبر ولثمته، كأنها تبوس قدميه. قالت: قولوا معاي يا صبايا الله لا يورّيكو... قولوا: يا دار يا دار لو عدنا كما كنّا. ردّدت الصبيتان: كما كنا. لطليك يا دار بعد الشيد بالحنة...»(٤٨).

وفي مكان آخر، على لسان نفّوس (ام العبد) في السجن تحادث نفسها: «لومي بيّك يا صبرية... كان وين متخبيّ لنا هذا كلّو... قلتلّو جوّز البنت لعباس يا شيخ عبد الصبور... بتلمّوا وبلّمها... الواحد بغطي على لحمتو بخمسين طبق... قال بهوّنها الله وبتهون... بتهون يا شيخ عبد الصبور...، وكأنها تعاتب العتمة»(٤٩).

لكن الخيال لم ينتف من النص؛ بل وقع أسير التسجيل التاريخي. وضمر أكثر فأكثر، ليصوغ، ربما، حركية اللغة والجسد، وتفاصيل الحياة الصغيرة (هدية الخطيب للخطيبة؛ كلمة السر التي يحملها الفتى للشبان؛ حركة الجسد ذاته؛ وحركية ونبض المواقع الجغرافية التي لم تخل من اضافة الكثير من أسماء النباتات والاعشاب الريفية المنسيّة).

لقد حاولت رواية «زغاريد المقاثي» ان تصوغ، وتجاري، واقعاً ما زال يعكس دلالاته، وعوالم تجربته النضالية المتجددة في الانتفاضة الشعبية المتواصلة. وهذه المجاراة تطرح اسئلة حول زمنية النص الروائي فيما اذا كان باستطاعته صوغ مكنوناته ضمن اطار الزمن الراهن، المعاش، دون ان يكون نصاً تسجيلياً، أو الى أي مدى يستطيع هذا النص تصوير تفاصيل عوالم الشخصية، ببداياتها، ونهاياتها، وهي ما زالت تعيش، وتتحرك، على أرض الواقع، وتنسج تفاصيلها من خيوط واقع يمتد، وتمتد معه تجربة التأطر والتكوين؛ ثمّ هل نضجت الانتفاضة كتجربة متكاملة محدّدة الابعاد والدوافع والاهداف والنتائج؟ هل انجزت النتائج لتكون نصاً روائياً من دون ان يكون هذا النص تأريخياً وتسجيلياً، خطوة فخطوة، في اطار تجربة يشوبها الحذر الشديد أيضاً؟ ليس من شيء بقدر مفاجآت الواقع الذي لم يكتمل بعد وهو يصوغ احداثه بكل مفاجآتها وتفاصيلها غير المعلنة قبل وقوعها.

من هنا نجد ان وتد، في خاتمة الجزء الثاني من روايته، سجّل حرفياً نص وثيقة «اعلان الاستقلال» الصادر عن الدورة التاسعة عشرة للمجلس الوطني الفلسطيني ـ دورة الشهيد «ابو جهاد»، كخاتمة لنصّه الروائي، حتى وانْ جاءت طريقة التسجيل هذه عبر مزيج من الاصوات يختلط فيها نص «اعلان الاستقلال» بقوائم اسماء شهداء غادروا الى الارض وانتصبوا في الرواية.

على كلّ، تعتبر الرواية، بجزئيها، قطعة من الواقع المعاش في الانتفاضة. ويمكن استشفاف طروحاتها المتنوّعة (مثلما هي في الواقع) في الجوهر الفلسطيني، حيث دخل وتد الى النسيج الاجتماعي لشعب الانتفاضة وتركيباته الطبقية، معطياً لكلٍ دوره، ومهمته، وبطولته. وبذلك لا بطل رئيساً في الرواية، حيث يتمدّد فعل البطولة ليشمل قطاعات واسعة من الشخصيات، بمختلف مشاربها وانتماءاتها السياسية، ولكن تجمعها وحدة الهدف والمصير تحت راية القيادة الوطنية الموحّدة، قيادة م.ت.ف. وأشار الكاتب الى ذلك برمز أقرب الى التصريح الصريح.

وتتلخّص «زغاريد المقاثي» في انها تبدأ بنشوء العائلة الفلسطينية، كتركيبة فلّاحية بسيطة، ونموذجية في احدى مناطق جنين، «خربة الزبداوي»، وسفر الابن «العبد» الى روما طلباً للعلم.